

لمحات نقدية في اسلوب وشعر البحري

الدكتور

عبد الرسول عبد الحسن الغفار

جامعة الكوفة - كلية التربية للبنات

لمحات نقدية في اسلوب وشعر البحري

الدكتور

عبد الرسول عبد الحسن الغفار

جامعة الكوفة - كلية التربية للبنات

المقدمة

اتسم العصر العباسي باستقدام طائفة كبيرة من الشعراء ليكونوا في بلاط الخلفاء ودواوين الوزراء والقضاة، وكانت مغريات الدولة العباسية من الجاه والمال قد استهوت العديد ممن نبغ في مجال الشعر والادب، لذا تنافس الشعراء وذوي المواهب من الادباء لينالوا حظوة عند السلطان.

الى جانب هذا التنافس برز النقد الادبي بخطوات ادبية مهمة لم يكن له ذلك النبوغ من قبل، فقد ظهرت كتب الطبقات وفحولة الشعراء، والوساطة، وكتب السرقات، وامثالها الشيء الكثير، نذكر على سبيل المثال والايجاز لا الحصر: فحول الشعراء لابن سلام، طبقات الشعراء لابن قتيبة، وآخر لابن المعتز، الكشف عن مساوئ شعر المتنبي للصاحب بن عباد، اخبار ابي تمام للصولي وله اخبار البحري، الموشح للمرزباني، كتاب الوساطة للجرجاني الرسالة الموضحة في سرقات ابي الطيب المتنبي للحاتمي، والموازنة للأمدي....

هذا الازدهار في مجال التأليف في النقد الادبي يشعرا أن في العصر العباسي صراعاً واضح المعالم بين تيارين قد برزا هما: تيار القديم وتيار الجديد، على أن تلك ظاهرة تنبئ عن الترف الفكري والادبي

في ذلك العصر، وهي ظاهرة لا يخلو منها ادب من الآداب في كل مرحلة من مراحل التطور والانتقال. ولا يخفى على الباحث أن لكل تيار له أنصاره ومؤيدوه؛ فأصحاب الجديد اتسمت حركتهم المناوئة بطابع الثورة على القديم ونبذ التقليد واتخاذ طابع التحرر، بل قل عنه رفض القيود التي كان عليها الشاعر الجاهلي وربما يكون رائد هذا التجديد في الاسلوب بشار بن برد وابا نؤاس وطبقة الماجنين من الشعراء ومن عرف بالشعر الخليع، وقد تبلور هذا الاسلوب مع الزمن ورسخت له اصول وقواعد، فاطلق عليهم النقاد اسم (اصحاب المعنى) لانهم يذهبون الى التأكيد على المضمون اكثر من عنايتهم بالمبنى.

تأصل هذا الاسلوب في قرائح جملة من الشعراء، ثم امتد الى عصور العهد العباسي فشمّل القرن الثالث والرابع والخامس، اذ اقتفى اثر ابي نؤاس كل من مسلم بن الوليد وديك الجن والمنصور النمري وابي تمام وابن الرومي وابي العلاء المعري، هذا جانب من الشعراء الذين اتسموا بالتجديد، وفي جانب آخر نرى اصحاب القديم قد وقفوا في وجه خصومهم موقفاً بارزاً يؤيدهم كبار علماء اللغة والنحو والبلاغة، ولعل البحري ابرز شاعر ناصر

لحات نقدية في اسلوب وشعر البحري

القديم بأسلوبه ومعانيه، فكان له موقف متميز من بين شعراء عصره، اذ حافظ على قيم الشعر اللفظية وما لتلك القيم من اسلوب عشقه الاوائل من شعراء العصر الجاهلي وصدر الاسلام.

نحن في بحثنا هذا نتساءل فنقول: هل وفق الشاعر في الحفاظ على ذلك الاسلوب أم هناك مفارقات ادبية وسلوكية، واخرى نقدية تتعلق بالشكل والمضمون؟ ذلك ما نسعى الى ابرازه من خلال تسليط الضوء على ديوان البحري الماثل بين ايدينا.

يطالعنا في ديوان البحري^(١) تراث ضخم لشاعرنا وقد وجدنا أن مجموع قصائده ومقطوعاته قد بلغت (٩٣٣) قصيدة ومقطوعة، تضم (١٥٩٥٠) بيتاً موزعة كما يلي:

في المدح ٤٨٠ قصيدة ومقطوعة.

في الهجاء ١٨٠ قصيدة ومقطوعة.

في الغزل ١٠٥ معظمها مقطوعات.

في الاخوانيات ٩٤ مقطوعة.

في الحمرة ٧ قصائد.

في الفخر ٨ قصائد.

في الرثاء ٢٦ قصيدة.

وسوف نتحدث باختصار عن بعض هذه الاغراض مع ذكر نماذج من شعره.

١- مدائح البحري

كان البحري يسمى بنديم الملوك والخلفاء، حيث أدرك من خلفاء بني العباس عشرة؛ اولهم المأمون ثم المعتصم ثم الواثق. وكان عمر الشاعر يومئذ قد تجاوز العشرين وفي تلك الفترة مدح وزير الواثق وهو

ابن الزيات ومدح الحسن بن وهب صاحب ديوان الرسائل في وزارة ابن الزيات.

ثم مدح المتوكل بن المعتصم اذ انشأ فيه ٣٨ قصيدة ومقطوعة في ٨٠٠ بيتاً في مدة ١٢ سنة، كما وانه مدح المنتصر بن المتوكل، ومدح المستعين بن المعتصم في اربعة قصائد كان مجموع ابياتها ٨٣ بيتاً، ومدح ابنه العباس ووزيره ابن يزداد^(٢). ثم مدح المعتز بن المتوكل في احدى وثلاثين قصيدة ومقطوعة في ٩٥٠ بيتاً في مدة ثلاث سنين ونصف ومدح الفتح بن خاقان وزير المتوكل، ثم مدح المهدي بن الواثق والمعتمد والمعتضد.

من مدائح البحري:

اسلفنا أن نصف ديوان البحري هو في المدح وقد خصه بخلفاء بني العباس وفي مقدمتهم المتوكل ثم الوزراء والاعيان والقضاة والامراء. نعم خص كل واحد من هؤلاء بقصائد عديدة إلا المنتصر بن المتوكل حيث مدحه بقصيدة واحدة يذكر فيها فضل الخليفة الجديد، وعفوه وتسامحه وبعض البر الذي قام به، والحيف الذي رفعه عن الطالبيين، وعزله لصالح بن علي عن ولاية المدينة وولائها علي بن الحسين بن اسماعيل بن العباس بن محمد، وقال المنتصر: انما وليتك لتخلفني في بر آل أبي طالب وقضاء حوائجهم ورفعها اليّ فقد نالتهم جفوة، وخذ هذا المال ففرقه فيهم وفي اهلك على أقدارهم، فقال: سأبلغ بعون الله رضا أمير المؤمنين، قال: اذن تسعد بذلك عند الله تعالى وعندي - وفي ذلك الصنيع قال البحري مادحاً للمنتصر:

تَسْمُ عَنْ وَاضِحٍ ذِي اشْر
وَمَا أَنْسَ لَا أَنْسَ عَهْدَ الشَّبَا
وَتَنْظُرُ مِنْ فَاتِرِ ذِي حَوْرٍ^(٣)
كَوَاكِبُ شَيْبٍ عَلِقْنَ الصَّبْرَ
بِ، وَعَلَوَةٌ، إِذْ عَيَّرَتْنِي الْكِبَرُ
وَأَنِّي وَجَدْتُ، فَلَا تَكْذِبَنَّ
وَلَا بُدَّ مِنْ تَرْكِ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ
أَلَمْ تَرِ لِلْبَيْنِ كَيْفَ انْبَرَى
وَمَاذَا أَرَادَتْ إِلَى مُحَرِّمِينَ
سَرَوْا مُوجِفِينَ لَسَعِي الصَّفَا
حَجَجْنَا الْبَيَّةَ شُكْرًا لِمَا
تَطَوَّلَ بِالْعَذْلِ لِمَا قَضَى
وَدَامَ عَلَى خُلُقٍ وَاحِدٍ،
وَلَمْ يَسَعْ فِي الْمُلْكِ سَعْيَ امْرِئٍ
وَلَا كَانَ مُخْتَلِفَ الْحَالَتَيْنِ
وَلَكِنْ مُصَفًى كَمَاءِ الْغَمَا
تَلَافَى الْبَرِيَّةَ مِنْ فِتْنَةٍ
أَظْلَهُمْ لِيْلَهَا الْمُعْتَكِرُ^(٤)

الى آخر الايات

نقد القصيدة الرائية:

يغلب على هذه القصيدة طابع التكلف، إذ أن البحري لم يهنئ المنتصر بالخلافة بينما أكثر في قصائده السابقة من مدح المتوكل - والد المنتصر - وكرّر في شعره ذاك صفاة الحزم والعزم والسداد...، وقد تسأل لماذا هذا الفتور تجاه مدحه للمنتصر؟ قد يكون الجواب غير خفي على من أمعن في شعر البحري فإن المتوكل كان صاحب فضل وإيادٍ

على الشاعر قد لا يصل إليها الخليفة الجديد، ثم إن فعلة المنتصر وأقدامه على قتل والده كان له الأثر في نفسية الشاعر وبغضه الشديد للمنتصر، ولعل هذا هو السبب في استطراد البحري الكثير في الإشادة بالطالبيين ووجوب رعايتهم دون الإشادة بالخليفة ولو قارنت هذه الرائية مع مراثية الشاعر في المتوكل - التي كانت ثورة كبيرة تأججت عند البحري وقد أبرزها بنفس أكثر فيها الحزن والتألم - لوجدت فيها الفوارق الكثيرة، فلا عجب إذا قلنا إن هذه الرائية لا

لحات نقدية في اسلوب وشعر البحري

ترفع الى مستوى مدائح البحري في المتوكل.
ومن شعره قال يمدح الوزير الفتح بن خاقان:

أما مُعِينٌ عَلَى الشُّوقِ الَّذِي غَرِيتُ
أَرْجُو عَوَاطِفَ مَنْ لَيْلَى، وَيُؤَيِّسُنِي
وَمَا مَضَى أَمْسٍ مِنْ عَيْشٍ أَسْرُبُهُ
كَيْفَ اللَّقَاءِ، وَقَدْ أَضَحَتْ مُخِيْمَةً
تَهَاجِرُ أَحْمَ، لَا وَصْلَ يَخْلُطُهُ
وَقَدْ يُزِيرُ الْكَرَى مَنْ لَا زِيَارَتَهُ
إِمَّا سَأَلْتُ بِشَخْصِينَا هُنَاكَ فَقَدْ
بِتَا عَلَى رِقْبَةِ الْوَاشِينَ مَكْتَفِي
وَلَمْ يَعِدْنِي لَهَا طَيْفٌ فَيَفْجَأُونِي
جَاءَتْ يَدُ الْفَتْحِ وَالْأَنْوَاءُ بَاخِلَةً
وَقَصَّرَتْ هِمَمُ الْأَمْلَاكِ عَنْ مَلِكٍ
يُشِيدُ الْمَجْدَ قَوْمٌ أَنْتَ أَقْرَبُهُمْ
وَالنَّاسُ ضَرْبَانِ إِمَّا مَظْهَرٌ مَقَّةً
وَمَا رَأَيْتُكَ إِلَّا بَانِيًا شَرَفًا
سَلَلْتُ دُونَ بَنِي الْعَبَّاسِ سَيْفَ وَغَى
أَثَارُ بِأَسْكَ فِي أَعْدَاءِ دَوْلَتِهِمْ
إِمَّا قَتِيلًا يَخُوضُ السَّيْفَ مُهْجَتَهُ
حَتَّى تَرَكْتَ قَنَاءَ الْمُلْكِ قِيَمَةً
لَا تُفْقِدَنَّ، فَلَوْلَا مَا تُرَاحَ لَهُ
أَمَّا أَيَادِيكَ عِنْدِي فَهِيَ وَاضِحَةٌ

بِهِ الْجَوَانِحُ، وَالْبَيْنِ الَّذِي أَفْدَا^(٥)
دَوَامَ لَيْلَى عَلَى الْهَجْرِ الَّذِي تَلَدَا^(٦)
فِي حَبْهَ، فَأَرْجِي أَنْ يَعُودَ غَدَا
بِالشَّامِ لَا كَتَبًا مِنَّا وَلَا صَدَدًا^(٧)
إِلَّا تَزَاوُرُ طَيْفَيْنَا إِذْ هَجَدَا
قَصْدًا، وَيُدْنِي الْهَوَى مِنْ بَعْدِ مَا بَعَدَا
غَابَا وَأَمَّا خِيَالُنَا فَقَدْ شَهَدَا
صَبَابَةً، تَشَاكِي الْبَثَّ وَالْكَمَدَا
إِلَّا عَلَى أَبْرَحِ الْوَجْدِ الَّذِي عَهْدَا
وَذَابَ نَائِلُهُ وَالْغَيْثُ قَدْ جَمَدَا
تَطَاطَاوَا وَسَمَتْ أَخْلَاقُهُ صُعَدَا
نَيْلًا، وَابْعَدُهُمْ فِي سَوْدَدِ أَمَدَا
يُشْتِي بِنُعْمَى وَإِمَّا مُضْمَرٌ حَسَدَا
وَفَاعِلًا حَسَنًا أَوْ قَائِلًا سَدَدَا
يُذْمِي وَعَزَمًا إِذَا ضَرَمْتَهُ وَقَدَا
أَضَحَتْ طَرَائِفُ شَتَى بَيْنَهُمْ قَدَدَا
أَوْ نَازَعًا لَيْسَ يَنْوِي عَوْدَةً أَبَدَا
بِالنَّصْحِ لَا عَوَجًا تَشْكُو وَلَا أَوَدَا
مَنْ السَّمَاةُ كَانَ الْجُودُ قَدْ فَقَدَا
مَا إِنْ تَزَالَ يَدٌ مِنْهَا تَسُوقُ يَدَا^(٨)

الى آخر الابيات

لقد تعددت قصائد المدح عند البحري طيلة
نصف قرن من آخر عمره، فقد مدح وجهاء الدولة
والوزراء والامراء - كما تقدم - ولا يسعنا إلا أن
نذكر منهم:

الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان، الحسن بن مخلد،
سليمان بن وهب، اسماعيل بن بلبل، ابراهيم بن
المدبر، احمد بن طولون، مالك بن طوق التغلبي
والي الجزيرة، محمد بن طوق، عيسى بن ابراهيم،
علي بن المنجم، ابن حمدون، المبرد النحوي، ابن

لحات نقدية في اسلوب وشعر البحري

خرداذبه الجغرافي، ابو العيناء الاديب، والوزير ابن ثوابه.

ومدح من الشخصيات:

احمد بن ابراهيم الازدي، وابا جعفر القمي، وحميد الطوسي، والحسن بن سهل، وابراهيم بن الحسن قال فيه اكثر من عشر قصائد، واحمد بن دينار بن عبد الله (امير البحر) وقائد يخوض غمار البحر، وابا نوح عيسى بن ابراهيم بن نوح كاتب الفتح بن خاقان، وطنج بن جف مولى خماروية، واسحاق بن نصير العبادي كاتب خماروية، وابا سعيد الثغري.

ومدح من الاسر الطائية:

بني حميد الثلاثة: أبا نهشل^(٩)، وابا مسلم، وابا جعفر.

ومدح اسرة ابي سعيد محمد بن يوسف الثغري المتوفى ٢٣٦هـ

ومدح الوزير محمد بن عبد الملك الزيات

ومدح بيت عبد الله بن طاهر منهم:

محمد وسليمان وعبيد الله ابن طاهر.

ومدح الوزير احمد بن الخصيب

بعد هذا السرد لأسماء الممدوحين ماذا نفهم عن مدح البحري؟

لم يكن البحري صاحب مبدأ في مدائحه، ولم يقر له قرار لهذا تجده متقلباً في أقواله وتصرفاته، فهو يهجو اليوم من مدحه بالأمس، وهذا يعني الاضطراب في سلوكه وادبه بل يصاحب شعره الزيف والتكلف، ولو سألت لماذا؟ كان الجواب أن مدحه للخلفاء ورجال السلطة لا يعدو أن يكون

وسيلة ارتزاق تساعد على اعباء الحياة. فملتصير الذي مدحه شاعرنا لم يكن مديحه له رغبة أو حباً بل قد مقته وغضب عليه لانه اشترك في قتل والده المتوكل، ومع هذا المقت تراه يوماً يمدحه ويوماً آخر يهجو، والامر قد تكرر مع المستعين، ولم يقتصر هذا التذبذب والتقلب على الخلفاء بل تجاوزه الى القواد والامراء والوزراء، فهجا من هؤلاء من ذوي السلطة والنفوذ اكثر من اربعين شخصاً كان قد مدحهم، ومثل ذلك تجده قد مدح بعض اشراف بغداد ولما تغيرت حالهم نقل هذه المدائح الى غيرهم وأبدل اسماءهم باسماء اخرى غيرها^(١٠).

رب سائل يقول على أي شيء يدل هذا؟

هذا التلون والاضطراب يدل على ان الشاعر لم يكن صاحب مبدأ بقدر ما عرفناه انه يسعى وراء منافع شخصية وابتزاز للأموال بأي وسيلة كانت، ومن أي طريق حصل.

٢- هجاء البحري

أن البحري شاعر فصيح، حسن المذهب نقي الكلام، مطبوع، وقد ختم به الشعراء، له تصرف حسن في ضروب الشعر، سوى الهجاء فإن بضاعته فيه نزرة وجيده منه قليل.

روى ابو الفرج في كتابه عن علي بن سليمان الاخفش قال: إن ابا الغوث - ابن البحري - كان يزعم أن السبب في قلة بضاعته في هذا الفن أنه لما حضره الموت دعا به، وقال له: إجمع كل شيء قلته في الهجاء. ففعل، فأمره بإحراقه، ثم قال له: يا بني هذا شيء قلته في وقت، فشفيت به غيظي، وكافأت به قبيحاً فعل بي، وقد انقضى أربي في ذلك، وإن

لحات نقدية في اسلوب وشعر البحري

بقي روي، وللناس أعقاب يورثونهم العداء والمودة،
وأخشى أن يعود عليك من هذا شيء في نفسك أو
معاشك لا فائدة لك ولي فيه،
قال: فعلمت أنه قد نصحني وأشفق عليّ
فأحرقته^(١١).

لقد هجا - البحري - نحواً من اربعين رئيساً ممن
مدحهم؛ منهم خليفتان هما المنتصر والمستعين، ثم
مرت على عزمها ولم تقف
يقول فيها:

مُبدية للشّنان والشّنف

تعرف ما في ضميرها النّطف
أوتيت من حكمة ومن لطف
هرة في الجّد منه والشّرف
في حالي ثابت ومنصرف
التّقويم والزّيج جدّ منعكف
فت المها أو نظرت في الكتف
أكديت أو رمتهأ على الخرف
إلا وخلخالها مع الشّنف^(١٢)

قد كان في الواجب المحقق أن
بما تعايطت في العيوب وما
أما رأيت المريح دق مازج الزّ
واخبرتلك النّحوس أنكما
من أين أعلمت ذا وأنت على
أما زجرت الطّير العلا أو تعي
رذلت في هذه الصّناعة أو
لم تخطّ باب الدّهليز منصرفاً

الذين هجاهم البحري من شخصيات الدولة
العباسية هم كثيرون - كما عرفت - منهم: اوتامش
التركي واحمد بن الخصيب وهما من وزراء
المستعين، غير أن الجيد من شعره في الهجاء قليل.

روي أن البحري أراد الاجتماع بابن الرومي
ليشاركه في نظم الهجاء فأشار عليه ابن الرومي
بالكف عن ذلك وقال له: أن الهجاء ليس من
عملك، وعندما ألح البحري بأن يتعاونوا، قصر
وبنو الهجيم قليلة ملعونة
لو يسمعون بأكلة أو شربة

الوزراء ورؤساء القواد ومن جرى مجراهم من جلة
الكتاب والعمال ووجوه القضاة والكبراء.^(١٣)
وليس من بين شعره الهجائي إلا بعض قصائده
التي تعدّ جيدة في هذا الباب، منها قصيدته في ابن
أبي قماش التي مطلعها:

تقصيراً فاضحاً، وصح قول ابن الرومي، وهو أن
البحري ليس مؤهلاً للبراعة في هذا الفن^(١٤).
وهجا من شخصيات عصره الحسن بن
رجاء^(١٥).

ومنهم احمد بن علي الاسكافي لما قدم عليه وهو
في النّيل وهي بلدة في سواد الكوفة.
ومنهم ابو ثوبة، ومنهم شيخ من بني الهجيم
حيث قال فيه:

حُصّ اللّحي متشابهو الالوان
بُعْمان أصبح جمْعهم بُعْمان

لحات نقدية في اسلوب وشعر البحري

بحر الاصبهاني الكاتب - فقال له أتعرف هذا الشيخ؟
فقال له: لا.

قال له البحري هذا من بني الهُجيم ثم قال البيتين.
وقال في علي بن الهجم

من الاقمار ثم ولا البدور
لزادك منه في غِلْظ (...) (١٦)
بما لَفَقْتُ من كذب وزور (١٧)

وسبب هجائه للشيخ ذاك أنه دعاه الى الطعام
فتقدم واكل مع البحري أكلاً غنياً فغاضه ذلك ثم
التفت الى من كان حاضراً - وهو ابو مسلم محمد بن

وما رَغْشاؤك الجهم بن بدر
ولو اعطاك ربك ما تمنى
علام طَفَقْتَ تهجونني ملياً

وفي نسخة جاء البيت الثاني:

(علام هجوت مجتهداً علياً . . . الخ)

لقد عرف ابن الجهم بعدائه وبغضه الشديد
لأهل البيت (ع)، ولما كان البحري يعد من
شعرائهم - مع خلو ديوانه من مدائح لهم - فهو
وبعده:

أمالك في استك الوجعاء شغل
أقول: إن علي بن الجهم كان من شعراء المتوكل
وقد خص به حتى صار من جلسائه، وهو ينحو
ورافضة تقول بشعب رضوى
إمام من له عشرون ألفاً
وما تجدر الإشارة اليه أن الشيعة لا تقول بهذا
القول وإنما هذا من عقائد الكيسانية التي تدعي أن
الامام قد اختفى وغاب في جبل رضوى، وقد غلط
ومن هجاهم البحري: ابن شيرزاد قال فيه:

يَكْفُك عن اذى أهل القبور
منحى مروان بن أبي حفصة في هجاء آل أبي طالب
وذمهم والاغراء بهم وهجاء الشيعة وهو القائل:
إمام، خاب ذلك من امام
من الاتراك مشرعة السهام
الجهم في هجائه ذاك وشتان ما بين عقائد الشيعة
الامامية الاثنا عشرية وبين عقائد الكيسانية (١٨).

وبان ضراطك عنافمر
فقلت: كذبت ولكن قصر
إلا ببعض منايا الحمر
وما فقدناه يا حدى الكبر
وأن لا قضاء ولا قدر

نفقت فوق الحمار الذكر
يقول الطيب به فالج
وقد يتوقع موت الحمار
فقدنا يهودي قطر بل
عليج يدين بأن لا إله

لحات نقدية في اسلوب وشعر البحري

وشتامة لصحاب النبي
إذا جحد الله والمرسلين
له خلف مثل غرز الجرا
وكنت وكانا كما قيل للعبادي
هل ابن القماشية اليوم لي
وله قصيدة يهجو بها يعقوب بن الفرغ النصراني مطلعها:
تظن شجوني لم تغتلب
أشارت بعينين مكحولتين
عناق وداع أجال اعترا
فهل وصل ساعتنا منشيئ
وما كان صدك إلا الدلا
فإن تك قد دخلت بيننا
فكم روضة بفناء الريع
وله أيضاً في هجاء ابن الجهم:

يا سواة من رأيك العازب
إن وقفت سوقك أو كسدت
انحيت كي تنفقها زاريا
قد أن أن يبرد معناكم
وعقلك المستهتر المذهب
بضاعة من شعرك الخائب
على علي بن ابي طالب
لولا لجاج القدر الغالب

القاسم في سنة ٢٤٩هـ^(١٩) ، وللبحري في هجائه قصيدة من (تسعة عشر بيتاً) فصل فيها جزئيات الحادثة وانتصار الخليفة المستعين على خصومه وقد جمع البحري الى هجاء (اوتامش) غرضاً آخر وهو تعرضه لملاح ابن المستعين والى رشده ورشاده ويشير الى ولايته للعهد:

أمير المؤمنين اسلم، فقدا
تدارك عدلك الدنيا فقرت
ليهنك في ابنك العباس هدي
فقت الغي عنا بالرشاد
وعم بذلك آفاق البلاد
تبين من رشيد الأمر هادي

وهجا (اوتامش) أحد القواد الاتراك الذين لعبوا دوراً كبيراً في ترشيح المستعين للخلافة، وقد جعل المستعين ابنه العباس في حجر (اوتامش) وعقد له في سنة ٢٤٨هـ على مصر والمغرب واتخذ وزيراً وما لبث ان استولى على الخليفة وأخذ ينفذ امور الخلافة كما يشاء، مما أوغر صدور الموالي ضده، وكان ذلك هو السبب الذي أدى الى قتله وقتل كاتبه شجاع بن

لحات نقدية في اسلوب وشعر البحري

أَقَمْتُ بِهِ، وَلَمْ تَأَلْ اخْتِياراً سبيلَ الحَجِّ فِينا والجِهَادِ
تَوَلَّتْهُ القُلُوبُ وَبَايَعَتْهُ بِاخْلاصِ النِّصِيحَةِ وَالوُدَادِ
أَمَّا هِجَاؤُهُ لَوِ تَامَشَ فَقَدْ قَالَ فِيهِ:

لَقَدْ نَصَرَ الْإِمَامَ عَلَى الْأَعَادِي وَأُضْحَى الْمَلِكُ مَوْطُودَ الْعِمَادِ
وَعَرَفْتُ اللَّيَالِي فِي (شَجَاعِ) (٢٠) (وَتَامَشَ) كَيْفَ عَاقِبَةُ الْفَسَادِ
تَمَادَى مِنْهُمَا غَيٌّ فَلَجَا وَقَدْ تُرْدِي اللَّجَاجَةَ وَالتَّمَادِي
وَضَلَّاهُ فِي مَعَانِدَةِ الْمَوَالِي فَمَا اغْتَبَطَا هُنَالِكَ بِالْعِنَادِ
بِدَارٍ فِي اقْتِطَاعِ الْفِيءِ جَمٍّ وَسَعَى فِي فَسَادِ الْمَلِكِ بَادِي
بِهَضْمٍ لِلْخِلَافَةِ وَاتْتِقَاصٍ وَظَلَمٍ لِلرَّعِيَّةِ وَاضْطِهَادِ

وَقَالَ يَهْجُو الْمُسْتَعِينَ لَمَّا خَلَعَ وَأَبْعَدَ إِلَى (كَسْكَر) قَرْيَةٍ فِي وَاسِطٍ يَكْثُرُ فِيهَا الدِّجَاجُ:

عَجِبْتُ لِهَذَا الدَّهْرِ أَعْيَتْ صُرُوفُهُ وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا صَرْفُهُ وَعَجَائِبُهُ
مَتَى أَمَلُ الدِّيَاكِ أَنْ تَصْطَفِي لَهُ عُرَى التَّاجِ أَوْ تُشَيَّ عَلَيْهِ عَصَائِبُهُ
فَكَيْفَ ادَّعَى حَقَّ الْخِلَافَةِ غَاصِبٌ حَوَى دُونَهُ إِرْثَ النَّبِيِّ أَقَارِبُهُ
بَكَى الْمَنْبَرِ الشَّرْقِيِّ إِذْ خَارَ فَوْقَهُ عَلَى النَّاسِ ثَوْرٌ قَدْ تَدَلَّتْ غِبَاغِبُهُ
ثَقِيلٌ عَلَى جَنْبِ الثَّرِيدِ، مَرَاقِبٌ لَشَخْصِ الْخَوَانِ يَتَدِي فَيَوَائِبُهُ

إِلَى أَنْ يَقُولَ:

إِلَى كَسْكَرٍ خَلْفَ الدِّجَاجِ وَلَمْ تَكُنْ لَتَشَبَّ إِلَّا فِي الدِّجَاجِ مَخَالِبُهُ
لَهُ شَبَهُ مَنْ (تَاجَوِيهِ) مَبِينٍ يَنَازِعُهُ أَخْلَاقُهُ وَيَجَاذِبُهُ

فَحْشَهُ وَإِقْذَاعَهُ، وَبِذَا يَكُونُ قَدْ خَسِرَ الْأَدَبَ الْعَرَبِيَّ
تَرَاثًا جَمًّا وَإِلَّا لِأَسْتَطَعْنَا أَنْ نَسْتَخْلَصَ سِمَاتِ أُخْرَى
لِهَجَاءِ الشَّاعِرِ وَاسْلُوبِهِ فِي رَسْمِ صُورَةِ الْمَهْجُوِّ.

٣- فَرَزُّ الْبَحْرِيِّ

قَصَائِدُ الْبَحْرِيِّ الْأَوَّلَى وَهُوَ فِي مَنَبَجٍ كَانَتْ فِي
الْفَخْرِ وَوَصَفِ الْبَادِيَةِ. وَفِي حِمَصٍ تَعْرِفُ عَلَى أَبِي
تَمَامٍ وَاسْتِفَادَ مِنْهُ إِذْ عَرَفَهُ عَلَى أَهْلِ الْمَعْرِةِ
فَاكْرَمُوهُ (٢٤).

وَلَمَّا زَارَ حَلَبَ وَهُوَ فِي الْعَشْرِينَ مِنْ عَمْرِهِ صَادَفَ
مَغْنِيَةَ اسْمَهَا (عُلُوَّة) (٢٥) فَأَعْجَبَ بِهَا وَرَسَخَتْ فِي

وَمَنْ هَجَاهُمُ الْبَحْرِيُّ: ابْنُ أَبِي زَنْبُورٍ وَالْحَسَنُ
بْنُ رَجَاءٍ وَطَائِفَةُ النُّحَاةِ (٢١) وَطَائِفَةُ النَّصَارَى (٢٢).

أَقُولُ: - لَوْ اسْتَعْرَضْنَا قَصَائِدَ الْبَحْرِيِّ الْهَجَائِيَّةِ
وَتَنَدَّرَاتِهِ فَسَوْفَ نَسْتَخْلَصُ مِنْ مَجْمُوعِ هِجَائِهِ اسْلُوبَهُ
الْخَاصَّ فِيهِ، إِذْ سَلَكَ فِي هِجَائِهِ سَبِيلَ التَّحْقِيرِ
وَالسَّخَرِيَّةِ وَالتَّنَدُّرِ إِلَّا أَنَّهُ دُونَ بَرَاةٍ مَعَاصِرِهِ ابْنَ
الرُّومِيِّ الَّذِي فَاقَ شِعْرَاءَ عَصَرِهِ فِي رَسْمِ الصُّورَةِ
لِلْمَهْجُوِّ وَتَفْصِيلِ الْقَبَائِحِ وَمَا فِيهِ مَعَايِبَ وَسَقَطَاتٍ.

وَلَمَّا تَبَعْنَا أَخْبَارَ الشَّاعِرِ وَجَدْنَا قَدْ أَوْصَى عِنْدَ
احْتِضَارِهِ أَنْ يَحْرِقَ شِعْرَهُ الْهَجَائِيَّ (٢٣) نَظْرًا إِلَى

لحات نقدية في اسلوب وشعر البحري

عقله واخذت بمجامع ليه وواكبته حتى آخر لحظة من انفاسه التي لفظها في (منبج) ولكن لم يقدر لهذا الغرام أن يسير في وجهة سعيدة ينعم به الشاعر ذو الصبابة والوجد، وإنما قدر له ان يحمل هذا الهم بين ضلوعه بين سفره وترحاله من بلد الى بلد، فقد حمل هذا الحب الدفين اكثر من ستين عاماً لكنه حبٌ بدأ صدفة وهو في حلب ليمكث في ذهن الشاعر ومخيلته على شكل طيف أو خيال لا يزول كلما تذكر صوتاً أعجبه أو صورة أخذت الى قلبه طريقاً ليحل محل (علوة) ولكن ليس الى ذلك الحب من سبيل، وما الاسماء التي وردت في شعره إلا رموز تحكي عن حبه الحقيقي لـ (علوة)؛ فان نوار، ليلي، زينب، سعاد، اسماء، عزة، قتيلة، سعدى، هؤلاء كلهن (علوة..)

أغلب غزلياته اوقفها على (علوة) الحلبية، وكم أعجب بجمالها ومفاتيح جسدها، فهي ذات ثغر قال ولها الى الحبيب:

أحاجيك هل للحُب كالدار تجتمع
وللهائم الظلم أن كـالظلم يتقاع
وهل شيع الاظعان بغتاف فراقهم
كمذهلة تدمى جوى حين تدمع
أما راعك الحي الحلال بهجرهم
وهم لك غلدوا بالترفق أروع
بلى وخيال من قتيلة كلمها
تأوهت من وجد تعرض يطمع
إذا زورة منه تقضت مع الكرى
تنهت من فقد له اتضرع
تري مقلتي مالا تری في لقائه

كالاقحوان، وخد كالورد، وان عهده بها كعهد الربيع الذي يبصر عن كتب ورود الحدائق وزهور البساتين وروائح الياسمين والقداح والوان الفراشات المتطاير بين الاغصان وبراعمها المتلاؤة عند ضوء الصباح واطلالة النسيم.. انه متعلق بـ (علوة) كتعلق الفراشة برحيق الزهور كل يرشف من صاحبه بمقدار العذوبة والحلاوة التي يتمتع كل واحد بها.

ثم اسماء اخرى وردت في شعره سوى علوة: سعدى، لبنى، ليلي، اروى، سعاد، اثيلة، دعد، زينب، عثمة، نوار، الرباب، لعوب، ظلوم....، ربما هذه اسماء تحكي خيال الشاعر فحسب، أتى على ذكرها شأن كثيرين من الشعراء، وقد اصبحت فيما بعد عامة يتناولها الشعراء رمزاً للمحوبة ومحوراً في حلبة الابداع الشعري.

نماذج من غزله

وتسمع أذني رجع ماليس تسمع
ويكفيك من حق تحيّل باطل
تُردُّ به نفْسُ اللّهِفِ فترجع^(٢٦)
وقال في الغزل ذاكراً (علوة)

عهد لعلوة باللوى قد اشكلا
ما كان احسن مبتداه وأجملا
من لهونا في ظلها ما قد حلا
عيش غزير لو ملكت لما مضى
رداً إذا لرددت مسه مقبلا
لاموا على ليلى الطويل وكلمها
عادوا بلوم كان ليلى أطولا
إتبع هواك الى الحبيب فأنه
رشد، وخل لعدا ذل أن يعدلا
والله لا أسلو، ولوجه الذي
يلحى، وماعذر المحب إذا سلا
أحيا الرجاء، ورد عادية الجوى
قول الذي أهوى: نعم من بعد لا
ومزاجه كأسي برقت به الستي
ثلجست فؤاد مجبه فتبلا^(٢٧)

حلوة في دياجة امتزجت فيها روح البداوة الصافية
مع فصاحة اللغة وروعة البلاغة، انها لغة جميلة
مطبوعة لا تكلف فيها ولا غموض. ولا ننسى أن
الشاعر ولد في منبج ونشأ في باديتها نشأة عربية
فصيحة خالصة ولما دخل بلاد العراق وتقلب في
قصور المتوكل في بغداد وسامراء وسرح نظره في
البساتين والبرك المائية مما كان دخوله الى الحضرة قد
افاده الى جانب صوره البدوية صورا حضرية اذ كان

لو استثنينا غزلياته في (علوة) الحلبية، فسوف
تطالعنا اغلب قصائد الديوان وبالخصوص قصائد
المديح انه استهلها بالغزل، وهو غزل تقليدي جامد
لا تحس فيه عاطفة صادقة ولا خيال واسع. وهذا
يعني إن ما جاء في شعره من غزل أنه تقليدي ليس
إلا. نعم انه ابداع في التصوير وجعل غزلياته التقليدية
مفتاح يستهل بها المديح فجاءت قصائده تحمل ذاك
التلون المتجانس في صور لها حركية جميلة وانغاما

لحات نقدية في أسلوب وشعر البحري

لهذا المزيج ولتلك المشاهدات أن وسّع خياله ولونه
بألوان الحضارة المتنوعة، وهذا ما كان يطرب اليه
ملوك بني العباس كالمتوكل والمستعين والمعتمد
وغيرهم.

مهما يكن من أمر فإن غزليات الشاعر تجدها في
اغلب قصائد المدح حيث استهلّ تلك القصائد
بوقوفه على الاطلال وتذكر الرسوم وصور الحبيبة،
ولا يخفى ما في تلك الطلليات من معانٍ مكررة ولا
يخلص منها سوى القليل.

وقل مثل ذلك في الصفات التي يُغدقها على
مدوحيه فهي في معظمها تتنقل من هذا الممدوح الى
ذاك.

عرفت فيما تقدّم أن المرأة كان لها نصيب كبير في
شعر البحري، فهذه (علوة) قال فيها قصائد كثيرة
ربما كان صادقاً في غزله، غير أن أسماء آخر من
الغانيات قد وردت في شعره لكن نحسبها رموزاً
تخيلها البحري.

واذا تجاوزنا غزليات الشاعر تلك فهناك غزل
شاذ عرفه عصر البحري وهو الغزل النواصي اذ
خصّ البحري جملة من مقطوعاته الشعرية وابياته
الغزلية في الغلمان ك (نسيم) و (شمال) و (قيصر)
و (ميخائيل) و (شقران) والاول اشهر غلمانه حيث
تيّمه الى حدّ لو باعه استرجعه من الشاري ثانية قال
فيه:

بِأبي أَنتَ كَيْفَ أَخْلَفْتَ وَغَدِي
وَتَثَاقَلْتُ عَنْ وَفَاءِ بَعْهِدِي
لَمْ تَجِدْ مَثَلِ مَا وَجَدْتُ وَمَا
أَنْصَفْتُ إِنْ لَمْ تَجِدْ مَثَلِ وَجْهِدِي
وغيّبي في حَسَنِ وَجْهِكَ رَشْدِي
سِـحْرُ عَيْنَيْكَ قَهْوَتِي وَثَايَا
كَ مِزَاجِي وَوَرْدُ خَدَيْكَ وَرْدِي
لَيْسَتِي قَدْ حَلَلْتُ عَنْكَ فِي الْحُبِّ
مَحَلّاً أَحَلَّكَ الْحُبُّ عِنْدِي
لَا أَرْتَنِي الْإِيَّامُ فَقَدْ كَمَّ مَا عَشِيتُ
وَلَا عَرَفْتُكَ مَا عَشِيتُ فَقَدْ عَرَفْتُكَ

وقال في غلامه (شمال):

ريح الشمال أتت بريح (شمال) سحراً فهاجت ساكن البلبال
واهأبما جاءت به واهأله أحيث به مامات من أوصالي
فجزأوها جبان باسمها منا وحب عن جميل فعال

لحات نقدية في اسلوب وشعر البحري

ولها غلينا في موافقه اسمها حق جديد رعيه اسم شمال
وبها غنيت عن العباد رسولة تغري القفار وماتني يكلال
تبنيكم أني على عهد لكم والله يشهد لي بصدق مقالي
قد كنت قبل فراقكم في غبطة من عيشة بكم رخي البال
امسيت بعدك (يا شمال) تشوقاً استشيق الأرواح بالأصال

المتوكل قصر (الغرد) بناه في سامراء على نهر دجلة.
ووصف (جوسق المعتز) وقصريه (الساج)
و(الكامل) ووصف قصري المعتمد (المعشوق
والمشوق) كما أنه وصف ايوان كسرى (٢٨)
والاسطول البحري والقتال الدائري في المراكب، ثم
وصف حروب الموفق وثورة الزبح.

وقد اشتهر البحري في وصف الطبيعة والعيون
المائية والبرك التي صنعها ملوك بني العباس وما
اجرته ام المعتز من عيون لسقاية الحجيج وتشيد
القصور فهو بحق ابداع في تصوير (الديارات) أنه
أجود شعر قاله طيلة حياته وبهذا يرتقي الى مرتبة
الشعراء الفحول، ونعني بشعره ذاك قصيدته في ايوان
كسرى، وبركة المتوكل، وموكبه صباح العيد.

قال يصف بركة المتوكل:

ومطلع القصيدة:

نعم، ونسألها عن بعض أهلها

انها ابيات تتم عن فساد الخلق والذوق والتهاون
بالغريزة، ولا نجافي الحقيقة اذا ما قلنا أن ادباء ذلك
العصر كانوا يتهادون الغلمان والخدم وقصصهم
كثيرة، فكان ذلك سبباً في ظهور الغزل بالغلمان، فهو
مرض تفشى بين صفوف الشعراء الماجنين، علماً بأن
هذا المرض الفتاك قد ادى بالمجتمع الى السقوط،
وبالأدب الى الابتذال.

ومع تلك القصائد الغزلية التي خصها الشاعر
بالغلمان فلم نجد البحري صاحب مبدأ ولا من طبعه
ان يرتقي في ذلك السقوط، بل نراه يتكلف الشوق،
ويتصنع الوفاء.

٤- وصف البحري:

من الاغراض البارزة في شعر أبي عبادة هو
الوصف حيث تناول قصور الخلفاء (المتوكل والمعتز
والمعتمد) فوصفها بأجمل القصائد، فمن قصور
ميلوا الى الدار من ليلى نحيتها

ثم يقول فيها:

يا من رأى البركة الحسناء رؤيتها والآسات، إذا لاحت مغانيها^(٢٩)
بحسبها أنها في فضل رتبها تعد واحدة والبحر ثانيها
مبال دجلة كالغري تنافسها في الحسن طوراً وأطواراً تباهيها
أما رأت كالي الاسلام يكلأها من أن تعاب وباني المجد ينيها^(٣٠)
كأن جن سليمان الذين ولوا إبداعها فأدقوا في معانيها
فلو تمر بها بلقيس عن عرض قالت هي الصرح تمثيلاً وتشبيها

لحات نقدية في اسلوب وشعر البحري

تنصبُ فيها وفودُ الماءِ مُعجَلةً كالخيلِ خارجةً من حبلٍ مجريها
كأنما الفضةُ البيضاءُ سائلةً من السبائكِ تجري في مجاريها
إذا علتها الصبا أبدت لها جبكاً مثل الجواشنِ مصقولاً حواشيها^(٣١)
فحاجبُ الشمسِ أحياناً يضاحكها وريقُ الغيثِ أحياناً يياكيها
إذا النجومُ تراءتُ في جوانبها ليلاً حسبتُ سماءَ ركبت فيها
لا يبلغُ السَّمَكُ المحصورَ غايتها لبعدِ ما بينَ قاصيها ودانيها
يَعْمَنُ فيها بأوساطٍ ومجنحة كالطيرِ تنقضُ في جوِّ خوافيها^(٣٢)
لهنَّ صحنٌ رحيبٌ في أسافلها إذا انخططنَ وبهوَ في أعاليها^(٣٣)

لا نبالغ إذا قلنا أن البحري في آياته تلك قد فاق الوصافين حيث اجاد في قوله:

تنصبُ فيها وفودُ الماءِ معجَلةً كالنخيلِ خارجةً من حبلٍ مجريها
كأنما الفضةُ البيضاءُ سائلةً من السبائكِ تجري في مجاريها

وقوله:

فحاجبُ الشمسِ أحياناً يضاحكها
وريقُ الغيثِ أحياناً يياكيها
وقوله: إذا النجومُ تراءتُ في جوانبها ليلاً حسبتُ سماءَ ركبت فيها

وخذ مثلاً آخر من وصفه الجميل للربيع حيث قال فيه:

أتاك الربيع الطلق يخال ضاحكاً من الحسنِ حتى أن يتكلّما
وقد نبّه النوروزُ في غلسِ الدجى أوائلَ وردٍ كُن بالأمسِ نوماً
يفتقها بردُ الندى فكأنه يثُ حديثاً كان أمسٍ مكمّما

وقال يصف إيوان كسرى

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يَدَسُّ نَفْسِي وَتَرَفَعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جَبَسٍ^(٣٤)
وَتَمَاسَكْتُ حَيْثُ زَعَزَعَنِي الدَّهْرُ رُ التَّماسُكُ مِنْهُ لَتَعْسِي وَنُكْسِي^(٣٥)
بُلُغْ مِنْ صُبَابَةِ الْعَيْشِ عِنْدِي طَفَفَتْهَا الْأَيَّامُ تَطْفِيفَ بَخْسٍ^(٣٦)
وَبَعِيدَ مَا بَيْنَ وَارِدِ رَفْهِ عَلَّلَ شُرْبُهُ وَوَارِدَ خَمْسٍ^(٣٧)
وَكأنَ الزَّمَانُ أَصْبَحَ مُحْمُوًّا لَا هَوَاهُ مَعَ الْأَخْسِ الْأَخْسِ^(٣٨)

ويعضي البحري في هذه المقدمة أكثر من عشرين بيتاً ثم يقول:

وكانَ الإيوانُ من عَجَبِ الصَّنْ عَةِ جَوْبٌ فيجَنبُ أرْعَنَ جِلْسٍ^(٣٩)

يُتَنَزَّى مِنَ الْكَأْبَةِ أَنْ يِي — دَوْلَعَيْنِي مُصَبِّحٌ أَوْ مُمَسِّي^(٤٠)
 مُزْعَجاً بِالْفِرَاقِ عَنْ أَنْسِ الْفِ — عَزَّ أَوْ مُرْهَقاً بِتَطْلِيْقِ عِرْسِ
 عَكَسَتْ حَظَّهُ اللَّيَالِي وَبَاتِ الْ — مُشْتَرِي فِيهِ وَهُوَ كَوَكَبُ نَحْسِ
 فَهُوَ يُّدِي تَجَلِّدًا، وَعَلَيْهِ — كَلْكَلٌ مِنْ كَلَاكِلِ الدَّهْرِ مُرْسِي^(٤١)
 لَمْ يَعْبه أَنْ بَزَّ مِنْ بُسْطِ الدِّي — بَاجٍ وَاسْتَلَّ مِنْ سُتُورِ الدَّمَقْسِ
 مُشْمَخِرٌ تَعْلُوْلُهُ شَرَفَاتٌ — رُفِعَتْ فِي رُؤُوسِ رَضُوءٍ وَقُدْسِ^(٤٢)
 لَا بَسَاتٍ مِنَ الْيَبَاضِ فَمَا تَبَّ — صَرَّ مِنْهَا إِلَّا فَلَائِلُ بُرْسِ^(٤٣)
 لَيْسَ يُدْرِي: اصْنَعْ إِنْسٍ لَجِنٌ — سَكَنُوهُ أَمْ صُنْعُ جِنٍّ لِإِنْسٍ
 غَيْرَ أَنِّي أَرَاهُ يَشْهَدُ أَنْ لَمْ — يَكْ بَانِيهِ فِي الْمُلُوكِ بِنَكْسِ
 فَكَأَنِّي أَرَى الْمَرَاتِبَ وَالْقَوُ — مَ إِذَا مَا بَلَغْتَ آخِرَ حَسِي

إلى آخر الايات...

وقال يصف الذئب حين لقيه:

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا وِفَاءَ وَلَا عَهْدُ — أَمَّا لَكُمْ مِنْ هَجَرٍ أَحْبَابَكُمْ بُدُ
 أَأَحْبَابُنَا قَدْ أَنْجَزَ الْبَيْنُ وَعَدَهُ — وَشِيكًا وَلَمْ يُنْجِزْ لَنَا مِنْكُمْ وَعَدُ
 أَطْلَالَ دَارِ الْعَامِرِيَّةِ بِاللَّوَى — سَقَتْ رَبْعَكَ الْإِنْوَاءُ مَا فَعَلْتَ هُنْدُ
 أَدَارَ اللَّوَى بَيْنَ الشَّقِيقَةِ فَالْحَمَى — أَمَّا لِلنَّوَى، إِلَّا رَسِيسُ الْهَوَى قَصْدُ
 بِنَفْسِي مَنْ عَذَبْتُ نَفْسِي بِجَبِّهِ — وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ وَصَالٌ وَلَا وَدُ
 حَيِّبٌ عَنِ الْأَحْبَابِ شَطَّتْ بِهِ النَّوَى — وَأَيُّ حَيِّبٍ مَا أَتَى دُونَهُ الْبُعْدُ
 إِذَا جَزَتْ صَحْرَاءَ الْغُوَيْرِ مُغْرِبًا — وَجَارَتْكَ بَطْحَاءُ السَّوَاغِيرِ يَاسَعْدُ^(٤٤)
 فَقُلْ لِبَنِي الضَّحَاكِ: مَهْلًا فَإِنِّي — أَنَا الْأَفْعَوَانُ الصَّلُّ وَالضَّيْغُمُ الْوَرْدُ^(٤٥)
 بَنِي نَاهِلٍ مَهْلًا، فَإِنْ ابْنُ أَخْتِكُمْ — لَهُ عَزَمَاتٌ هَزَلُ أَرَائِهَا جِدُ
 مَتَى هَجْتُمُوهُ لَا تَهَيِّجُوا سَوَى الرَّدَى — وَإِنْ كَانَ خَرَقًا مَا يُحِلُّ لَهُ عَقْدُ
 مَهِيًا كَتَصَلَ السَّيْفُ لَوْ ضُرِبَتْ بِهِ — ذُرَى أَجَاءَ ظَلَّتْ وَأَعْلَامُهَا وَهْدُ
 يَوَدُّ رِجَالٌ أَنِّي كُنْتُ بَعْضُ مَنْ — طَوْتُهُ اللَّيَالِي، لَا أَرْوَحُ وَلَا أَغْدُو

لحات نقدية في اسلوب وشعر البحري

ولولا احتمالي ثقل كل ملة تسوء الأعادي لم يودوا الذي ودوا^(٤٦)

٥- رثاء البحري :

تأتي مرثياته الأخرى في المرتبة الثانية، من ذلك أنه عزى أبا نهشل محمد بن حميد الطوسي بابتته، وعزى أبا الحسن ابن فرات بابتته، وعزى الخليفة المعتز بقائده التركي (وصيف).

ومن رثائه البائية؛ يرثي بها غلامه (قيصراً) قال فيها:

بعيش بعد قيصر لا يطيبُ
ومات الحب إذ مات الحبيبُ

عليه العين توميء أو تريبُ
رمائمها الجوانح والقلوبُ
غروب العين تتبعها الغروبُ

الرثاء فن عرفه الشعراء قديماً، ويراد بالمرثية مدحة ولكنها تخص الأموات ولذويهم أيضاً، فهي عبارة عن تعداد مناقب الميت ومآثره وجمال صناعه وما لديه من أياذ كريمة ومعروف وصالح الاعمال.

في مقدمة مرثيات البحري قصيدته التي رثى بها المتوكل، تعد من عيون قصائده الرثائية، وعدا ذلك

تعللني أضاليل الأماني
تولّى العيش إذ ولّى التصابي

الى ان يقول:

وأترك للثرى من كنت أخشى
ومن حق الأجرة لو أجنّت
الأم إذا ذكرتك فاستهلت

وقال يرثي ابا سعيد القائد؛ محمد بن يوسف الثغري:

بأي أسى تنسى الدموع الهواملُ
عجبت لهذا الدهر أفنى محمداً
مضى فمضى مجد تليد وسوددُ
وكان سراج الأرض فالارض مظلم
ستبكيه عين لا ترى الجود بعده
وتعلم جرد الخيل أن ليس راكبُ
فتى كان يأبى قدره أن يرى له
فتى أقفرت منه المعالي ولم تكن

ويرجى زيال من جوى لا يزايلُ
وكان الذي يسطوبه ويصاول
وأودي فاودي منه بأس ونائل
قراها وحلي الدهر فالدهر عاطلُ
إذا فاض منها هامل عاد هاملُ
سواه وسمر الخط أن ليس حامل
نظير مساو أو شبيه مشاكلُ
لتقفر ممن بان إلا المنازلُ

والتكلف، من ذلك قال في رثاء (شجاع) ام المتوكل وكانت وفاتها قبل مقتل ابنها بستة اشهر:

وحرقه بغليل الحزن تشتعلُ
أو قل صبر فلا لوم ولا عزلُ

ولا أجد في كل ما قاله في الرثاء إلا دغدغة
عواطف ومشاركة في المشاعر لهذا لم نجد الحزن
والحرقة في مرثياته، بل قد نجد فيها التملق والزيف

غروب دمع من الأجفان تهمل
إن لج حزن فلا بدع ولا عجب

لحات نقدية في اسلوب وشعر البحري

سيّد الناس حقاً بعد سيّدهم ومن لها المآثر السُّبق الأول
قل للإمام الذي الآؤه خمل ويشره امل، وسخطه وجل
لك البقاء على الأيام يقتبل والعمر يمتدّ بالنعمى ويتصل
والناس كلهم في كلّ حادثة فداء نعلك أن يغتالك الزلّ

لقد أذلّ الشاعر نفسه في أبياته تلك ونزل الى فهل كانت للبحري كرامة ينشدها مع هذا
الحضيض لا لشيء إلاّ لدنيا وعرض بخس. الابتذال في مدح المتوكّل؟! ثم كيف خلص الى هذا
المدح وهو في معرض الرثاء؟! المدح وهو في معرض الرثاء؟!

ولمّا علاه الشيب، تحسّر نادماً على ما فاتته في أيام شبابه فقال راثياً نفسه:

جلوت مرآتي فيا ليتني تركتها لم أجل عنها الصّد
كي لا أرى فيها الياض الذي في الرأس والعارض مني بدا
يا حسرتا أين الشباب الذي على تعدّيه المشيب اعتدى
شبتّ فما انفكّ من حسرة والشيب في الرأس رسول الردى
إن مدى العمر قريب فما بقاء نفسي بعد قرب المدى

شاعرة البحري

يمكننا ان نقف عند شاعرة الطائي ابي عباد من خلال قوله:

وركن اللفظ القريب فأدركن به غاية المرام البعيد

إنه يختار الكلام العذب الرقيق والمأنوس من معاصريه كابن الرومي واقرائه الذين سعوا بالشعر
الالفاظ، انها الفاظ توحى بالمعاني والصور البعيدة في سرد مفاهيم فلسفية تثقل لغة الشعر.
الجميلة في آن واحد، ولا يغرب عن البال أن هذا إن لغة الشعر عنده بعيدة عن منطق ابن الرومي
يرجع الى حسن الاختيار ونباهة الشاعر في رصف واسلوبه الذي هو الى الشر أميل منه الى الشعر، من
الكلمات ذات المعاني الجديدة، من هنا يخالف هنا أجاد البحري عندما قال:

كلفتمونا حدود منطقتكم والشعر يغني عن صدقه كذبه

إن المنطق يدخل في علم الكلام والفلسفة وسائر الفنون أما الشعر فيعرفه البحري بقوله:

والشعر لمح تكفي إشارته وليس بالهذر طولت خطبه

أذن للبحري نباهة خاصة وذوق فيه من الرقة ما الغنائي، وهي عامل مساعد لذبوع الشعر في
لا يخفى، وهذه الرقة هي أهم عنصر في الشعر الاوساط الادبية، وشاعرنا يؤكد ذلك بقوله:

إن شعري سار في كل بلد واشتهى رفته كل أحد

قلت شعراً في الغواني حسناً ترك الشعر سواء قد كسد

لحات نقدية في اسلوب وشعر البحري

اهل فرغانة قد غنّوا به
وقرى طنجة والسد الذي
واذا تجاوزنا هذا الحديث فنجد إن شاعرية
الرجل محاطة بصفات اخرى منها:

جرى في قصائده المدحبة على ما ألفه الشعر
العربي من تشبيه الممدوح مشرقاً يتلأأ كبريق السيف
المفاضلة بين شعر البحري وشعر معاصريه

من الجميل في سيرة البحري أنه منصف في أقواله،
مقدراً لشعراء عصره، محترماً لهم، فهذا محمد بن
يحيى الصولي قال: حدثني الحسين بن الياقطني قال:
قلت للبحري: أيما أشعر أنت أو ابو تمام؟

كان ابو تمام يستعمله، ويراه صاحباً وإماماً له،
ويقدمه على نفسه، ويعترف بالفوارق التي بينه وبين
أبي تمام فيقول: إن جيد أبي تمام خير من جيده،
ووسطه ورديته خير من وسط أبي تمام ورديته^(٥٠).

قال محمد بن يحيى الصولي: سمعت عبد الله بن
الحسين بن سعد يقول للبحري - وقد اجتمعا في دار
عبد الله بالخلد، وعنده المبرد في سنة ست وسبعين
ومائتين، وقد أشد البحري شعراً لنفسه قد كان ابو
تمام قال في مثله - : أنت والله اشعر من أبي تمام في
هذا الشعر، قال: كلا والله إن ابا تمام للرئيس
والاستاذ، والله ما اكلت الخبز إلا به، فقال له المبرد:
لله درك يا أبا الحسن، فإنك تأبى إلا شرفاً من جميع
جوانبك.^(٥١)

وفي هذا المعنى قال الحسين بن اسحاق: قلت
للبحري: إن الناس يزعمون أنك اشعر من أبي تمام،
فقال: والله ما ينفعني هذا القول، ولا يضر أبا تمام،
والله ما أكلت الخبز إلا به، ولوددت أن الامر كان

وقرى السوس وأطاسند^(٤٧)

بمغيب الشمس شعري قد ورد^(٤٨)

المصقول ثم إنه لم يودع شعره الكثير من الامثال
والحكم، واذا جاء فهو من الندرة ما لا يخفى.

ويلاحظ في شعره تعمد بعض المحسنات البلاغية
كالطباق والمقابلة والجناس وغيرها من فنون البديع.

فقال: جيده خير من جيدي، وردئي خير من
رديته.^(٤٩)

والواقع كذلك فان البحري كان يشبه بأبي تمام
في شعره، ويحذو حذوه، ويقتفي أثره في البديع الذي
كما قالوا، ولكني والله تابع له آخذ منه، لائد به،
نسيمي يركد عند هوائه، وأرضي تنخفض عند
سمائه.^(٥٢)

سئل المبرد عن أبي تمام والبحري أيهما أشعر
قال: لأبي تمام استخراجات لطيفة ومعان طريفة
وجيده أجود من شعر البحري ومن شعر من تقدمه
من المحدثين، وشعر البحري أحسن استواء من أبي
تمام لان البحري يقول القصيدة كلها فتكون سليمة
من طعن طاعن أو عيب عائب وابو تمام يقول البيت
النادر ويتبعه البيت السخيف وما أشبهه إلا بغائص
البحر يخرج الدرة والمحشلة اي المزدول في نظام
واحد... إلى أن قال وبالبحري يختم الشعر.

وكان يقال لشعر البحري سلاسل الذهب وهو
في الطبقة العليا.

وسئل ابو العلاء المعري أي الثلاثة أشعر ابو تمام
أم البحري أم المتبي؟
فقال المتبي وابو تمام حكيما وإنما الشاعر البحري.

لحات نقدية في اسلوب وشعر البحري

اقوال الادباء والنقاد فيه

نحاول ان نرسم الصورة المشرفة لشاعرنا من خلال بعض النصوص التي سجلتها كتب الادب والبلاغة تاركين المعاني لامعة في الشكل والمضمون حتى ضربوا بشعره المثل فقالوا: الديباجة البحرية.

قال ابن العماد الحنبلي: وفيها أي سنة ٢٨٤هـ توفي ابو عبادة الوليد بن عبيد الطائي المنبجي البحرني أمير شعراء العصر وحامل لواء القريض أخذ عن ابي تمام الطائي.^(٥٦)

وقال المبرد: أنشدنا شاعر دهره ونسيج وحده ابو عبادة البحرني.^(٥٧)

وقال القيرواني في مفاصلته بين ابي تمام والبحري:

(فكان - اي البحرني - أملح صنعة واحسن مذهباً مع قرب المأخذ ولا يظهر عليه كلفة ولا مشقة) ثم يقول: فهو يتتبع الألفاظ وينقدها نقداً شديداً ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق.^(٥٨)

قال فيه ابن خلكان بعدما ذكر ابياتاً من قصيدته في مدح المتوكل:

هذا القدر هو المقصود مما نحن فيه، وهذا الشعر هو السحر الحلال على الحقيقة، والسهل الممتع، فله دره! ما اسلس قياده وأعذب ألفاظه، وأحسن سبكه وألطف مقاصده، وليس فيه من الحشو شيء، بل جميعه نخب. وديوانه موجود وشعره سائر.^(٥٩)

ولما سئل البحرني وارادوا تفضيله على استاذه ابي تمام قال: (والله ما أكلت الخبز إلا به..). يعلق المبرد على هذا فيقول: لله درك يا أبا الحسن^(٦٠) فإنك تأبى إلا شرفاً في جميع جوانبك.^(٦١)

- ١- الصورة البيانية
- ٢- العاطفة والخيال
- ٣- الفكرة (المضمون)
- ٤- الجرس الموسيقي

فاذا ما امتزجت مع بعضها اعطينا نموذجاً جيداً. في ذلك قال ابن الاثير: (البحري احسن سبك اللفظ على المعنى)^(٥٣)

وقال أيضاً: (اراد ان يشعر فغنى)^(٦٢)

وقال الثعلبي: (إن شعر البحرني كتابة معقودة بالقوافي)^(٦٣)

وقال بعض النقاد يصف شعر البحرني: انه سلاسل الذهب.

ان مفردات البحرني - الالفاظ - التي صاغ منها قصائده تجدها على الاغلب - مأنوسة عذبة، سائغة في السمع والنطق، منزّهة عن الابتدال، مبرّاة من الغلظة والوحشية، واغلب شعره على هذا النسق؛ سواء الذي كان في مرحلة شبابه وهو عندما كان في منبج، حيث تلك المرحلة هي اقرب الى حياة البداوة، أو الذي كان في الفترة اللاحقة وهي التي عاشها في العراق على ضفاف دجلة والفرات وعند البرك المائية التي اوجدتها المتوكل ووزراء الدولة العباسية وامرائها؛ ففي هذه الفترة والتي نعدّها المرحلة الثانية قد ازدادت الفاظه بطابع الرقة والأناقة والتهديب، فجاءت صقيلة

لحات نقدية في اسلوب وشعر البحري

وكان بعض اهل عصره يُقدّمونه على أبي تمام باديء
الرأي ويختمون به الشعراء. (٦٢)

ولما سُئل ابو العلاء المعري في بعض الشعراء قال: ابو
تمام والمتنبّي حكيمان، وإنما الشاعر البحري.
قال ياقوت الرومي: (.. البحري الطائي الشاعر
المشهور كان فاضلاً اديباً فصيحاً بليغاً شاعراً مجيداً،

الجانب النقدي

لحات نقدية في شعر البحري واسلوبه الشعري

(دراسة تطبيقية)

المفارقات في سيرة البحري

من المفارقات أنه كانت نفورة بين ابن الرومي
والبحري، فهجا الاول الثاني فارسل البحري -
يقابل ذلك الهجاء - هدية لصاحبه وهي تحت متاع
وكيس دراهم وكتب رسالة يوضح له بها قصده،
فالهدية لا عن خوف ولا عن تقية ثم انهى الرسالة
بهذين البيتين:

نبحرتي كلابُـهُ
لعزيرَ جوابُـهُ (٦٣)

ولمعرفة السبب نسأل: هل كان الشاعر يقول
بالتقية ام كانت له قصائد في مدح اهل البيت (عليه السلام)
جرت عليها عاديّات الدهر وأيدي الحدثان؟ أو أنه
قصر في مديحه لهم؟

تساؤلات يثيرها طبيعة البحث، عسى يوفق
بالإجابة عنها بعض الباحثين ان شاء الله.

يبدو هناك جملة من الادباء الذين رصدوا
صفات البحري فنسبوه الى البذاءة والاسفاف في
الالفاظ، من اولئك احمد بن خلاد - الذي وصف
البحري بالخبث والسوء، ويبدو كانت بينهما

هناك مفارقات، بل قل عنها فجوات في سيرته
تشبه التناقض منها:
قد نقل أنه استفاد من أبي تمام في طلوع شبابه،
وبنصيحته اهتدى، وبسيرته اقتدى وهو في عقده
الثاني وقد نال بكتابه إلى أهل المعرة خيراً كثيراً ومع
كل ذاك الاهتمام وتلك الرعاية فلم نعثر للبحري في
تمجيد أبي تمام أو الثناء عليه، عدا ابيات قالها في رثاء
دعبل وأبي تمام معاً.

شاعر لا أهابُـهُ
إن من لا اعزّه

انها مفارقة واضحة بين هديته وشعره..!

من المفارقات الاخرى أنه هجا علي بن الجهم
الشاعر الناصبي الذي نظم ابياتاً ينال فيها من امير
المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام). إن ابيات البحري
في الرد على ابن الجهم تنبئ عن ولاء الشاعر لأهل
البيت (عليه السلام) وشأنه في ذلك كسائر الناس وربما كان
هذا الولاء هو السبب في تصنيف الشاعر ضمن
شعراء الشيعة الامامية غير انه لم ينظم في امير
المؤمنين ولا في ابنائه أي قصيدة انها مفارقة كبيرة
تسبب على الشاعر.

لحات نقدية في أسلوب وشعر البحري

خصومة - حيث يسجل لنا احدى مفارقات
البحري. قال احمد بن يزيد المهلبى قال لي احمد
بن خلاد: (اوتامش) وكاتبه (شجاع)، وانما اذكرت به فانشدته:

لقد نصر الامام على الاعادي وأضحى الملك موطود العماد^(٦٤)

فلم يأمر له المستعين بشيء فما زلت أصفه وأشهد له بقديم الموالاته حتى دفع اليه خريطة كانت في يده مملوءة دنانير، فكانت ألف دينار، ودعا بغالية فغلغه بيده. فلما خلع المستعين وولي المعتز كان أول ما أنشده قصيدة أولها:

(يجانبنا في الحب من لا نجانبه)

قال ابن خلاد: فهجاه بأصناف الأهاجي، ثم لم يرض حتى ذكرني فقال:

يجوز ابن خلاد على الشعر عنده

ويضحى شجاع وهو للجهل كاتبه^(٦٥)

ومن المآخذ على البحري: تقلبه من المدح الى الهجاء ثم تدنيه في الفاظه وتسفله في معانيه.. واسوء ما يقال إن البحري قد اخطأ في حساباته وتقديراته للممدوح فمثلاً كان يتوقع ديمومة الخلافة للمستعين فامطره بقصائد من المدح تكشف عن سخاء الشاعر في الفاظه ومعانيه ثم اقلب عليه لما شب النزاع بين المستعين والمعتز فمال الشاعر الى الثاني لما له ولايته المتوكل من هبات وجوائز غمرت الشاعر.

ومن المآخذ على البحري انه يعيد ويكرر في صفات الممدوح وهكذا قل فيمن خصه بالهجاء، فهو

والمستعين معيني فيه اوجاري

قدما وايجاب تقديمي واشاري

حظي وترضى باسلامي واخفاري^(٦٦)

للمستعين ابتغاء للمال والجاه، ولما لم يكن المال ذا أثر وجيه ولا هو الشفيع في كل الحالات فقد وجدنا البحري يدخل مع الداخلين في هجاء المستعين لما نشب الخلاف بينه وبين المعتز واخيراً

يعمد الى احد الصفات البارزة في الممدوح أو المهجو ويلبسها قوالب شتى واثواباً قد تُعيد الى الذاكرة انها الصفة الوحيدة التي قيلت فيه الايات وهذا ما فعله في مدحه لابن يزداد وان شأنه كشأن ابيه لما استوزره المأمون.

ثم من أبرز السمات في أسلوب المدح عند البحري هو طابع التكلف، وخاصة تلك القصائد التي مدح بها المستعين فكلما ته فيها هي ترداد للصفات التي اسندها لغيره من الخلفاء. اقرأ قصيدته الرائية التي يقول فيها:

أأرهب الدهر وأخشى تصرفه

وأنت ما أنت في رفدي وحيطتي

فكيف تهمل أسبابي وتغفل عن

في هذه الايات وفي غيرها التكلف باد وان الشاعر لم يكن عميق الايمان بما كان عليه المستعين من الصفات التي كان قد لحظها فيمن سبقه من الخلفاء كالماتوكل، بل الشاعر جرى في مدحه

لحات نقدية في اسلوب وشعر البحري

• الابتذال امام الممدوح والالحاح في الطلب
فاذا قصرت الاشارة انتقل من التلويح الى
التصريح.

اضطر الاول الى خلع نفسه عن الخلافة وتنازله الى
المعتر.

ومن المآخذ على شعر البحري واسلوبه:

• لا يتقيد بوحدة القصيدة، بل تراه ينتقل بين
الممدوح واسرته أو اشخاص آخرين سواء
شملهم المدح أو الذم.

من ذلك ختم احدى قصائده - التي مدح بها المستعين - بطلب من الممدوح ان يعيد عليه رزقه الجاري:

فكيف تهمل أسباي، وتغفل عن حظي، وترضى باسلامي واخفاري

تأت في رسمي الجاري بعارفة كما تأتيت لي في رزقي الجاري^(٦٧)

وقوله في قصيدة يمدح بها عبد الله بن محمد بن يزداد
الوزير يختمها بطلب رخيص حيث تمنى من الممدوح
اهدائه جواداً أغر أو أرثم جميل متقارب الأقطار

أو أرثم كالضاحك المستغرب
لحظات عين الناظر المتعجب^(٦٨)

أما اغر تشق غرته الدجى
متقارب الاقطار يماً لحسنه

ومثل هذه الابيات تجد حاجة للبحري يحث ابن
يزداد أن يكون وسيطاً وأمراً لصالح ابن وصيف
المكنى بأبي الفضل في انجاحها وتحقيقها قال:

بأفرت بالشطر من حمده
لتقبل الفعل من عنده^(٦٩)

وأمر أبي الفضل في حاجتي
فمن عندك القول مستأنفاً

• إشادته بالموالي الاتراك وقادتهم مثل
(وصيف وبغا وسيمما الشرايبي) في الوقت
الذي علم الشاعر أن الاتراك هم الذين
قتلوا المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان وقتلوا
المنتصر والمستعين والمعتز وهكذا سلسلة
التصفيات الجسدية للخلفاء والوزراء.. بل
أن البحري مدح الموالي بقصائد عديدة
وأطال فيهم المدح، انظر الى شعره فيهم:

• كثرة مدائحه في المتوكل والمعتز ووزرائهما
وطول قصائده، وما هناك من اطراء وثناء
ممل في الوقت الذي كانت الاحوال
السياسية مضطربة طيلة فترة العهد المتوكلية
الى عهد المنتصر والمستعين والمعتز، وكانت
سياسة الارهاب والقتل هي المتبعة، إنها
عهود مظلمة لا تستحق مدحاً.

أما الموالى فجنّد الله حملهم
بقاؤهم عصمة الدنيا، وعزّهم
ردّوا المعار، وتابوا من خطيئتهم
خطيئة لم تكن بدعاً ولا عجباً
من يركب الخطر الصعب الذي ركبوا
قد جاهدوا عنك بالاموال وافرة
أن ينصروك فقد قاموا بما احتملوا
ستر على بيضة الاسلام منسدل
فيه الى الله، والاثم الذي فعلوا
قد خطئت انبياء الله والرسل
بالامس، أو يذل النصر الذي بذلوا
وبالنفوس ونار الحرب تشتعل^(٧٠)

للملوك والسلاطين إلا من أجل المال
والجاه.

• وما يؤخذ على الشاعر: الاسفاف في
الالفاظ والمعاني الركيكة المبتذلة والتصريح
باسم المهجو، ونعته بشئ الصفات القبيحة
كما فعله في قصائده الهجائية في المستعين؛
منها الرائية المتقدمة اذ وصف المستعين
بالسلح والضراط والحمار، وانه يدنس
مضجعه وسراريه ليلاً بما يسلح على نفسه،
فيصعب ضجيعه ما يصيب من الدنس
والعذرة. ثم يصممه بالشره والنهم كما
ويصفه بأنه جلف بخيل أحرق يستكثر من
البسط والطنافس، انظر الى آياته تلك:

فيا خزي البراذع والسراري
بخلطي جامد معه وجار
قطوع الرّم منه بالبواري
قريب العهد بالدبس المدار^(٧١)

والملوك المألوفة وهي بهجاء سفلة الناس
ورعاعهم اشبه، مع ما جمعت من سخافة اللفظ
وهلهلة النسخ^(٧٢).

• الإجهار في عبّ الكؤوس والتصريح
بشرب الخمر، ومشاركة المعتز وغيره من
ملوك بني العباس في مجالس الشراب واللهو
والغناء.

• التملّق الى الخلفاء والوزراء والقواد
والاكتار من الثناء عليهم حتى أنه كرّر في
اغلب قصائده اصالة العباسيين وأنهم
يتمون الى الدوحة الغراء والشجرة الطيبة،
أنهم من قريش وأنهم من اصول الرسالة..
في الوقت الذي يشهد الجميع بأن أقرب
الناس الى النبي (ص) هم علي وفاطمة
وابناهما الحسن والحسين هؤلاء فرع الرسالة
وهم الشجرة الطيبة التي اصلها في السماء
وفرعها في الارض وما اظن ذلك التملّق

اذا أهوى لمرقده بليل
ويا بؤس الضجيع وقد تطلّى
فلوانا استطعنا لافتدينا
يعبّ فينفذ الصهباء جلف

قال المرزباني: (وهذه الايات من أقبح الهجاء
وأضعفه لفظاً، واسمجه معنى، ولاسيما بيت
البواري، وهي ايضاً خارجة عن طريق هجاء الخلفاء

لحات نقدية في اسلوب وشعر البحري

ومن الملاحظات النقدية في شعر البحري:

التعبير العامي:

من ذلك ما جاء في قصيدته التي مدح بها المعتر يقول فيها:

فقد بوأتني أعلى محلّ شريف في المكان بك المكين

وقوله:

نصرت على الاعادي بالاعادي

عزاة الروم تحت رحي طحون

يقتل بعضها بعضاً بضرب

مبين للسواعد والشؤون

لم نقل أنها من حشو الكلام، على ان الشطر الاول

يحكي لغة هي للشرا قرب منها من الشعر.

وفي البيت الثالث: (يقتل بعضها بعضاً) و(للسواعد)

...، الفاظ نثرها البحري في بيت شعري، هي اقرب

الى اللغة السوقة.

وقوله:

ترى في البيت الاول استعمل العبارة (المكان بك

المكين) وهي لغة يتداولها عامة الناس، لا قيمة لها في

لغة الشعر، وقد جرت على اللسان كمثال سائر عند

الصغير والكبير، والبحري في استعماله هذا يعكس

لنا ثقافته السوقية، وفي البيت الثاني جاءت العبارة

(رحى طحون)، اقول أي بلاغة في هذه العبارة إن

تتوقى الهموم عن انفس الشرب

وتحيي مموّتات الاماني

تجد الشطر الثاني محفوف بالثقل من جانب وبالعامية من جانب آخر.

وقوله: صمصامة الرأي صمصام الجنان ثنى

تلك الصفوف بماضي المد صمصام

ابو تمام آنذاك شيخ الصناعة الشعرية^(٧٣).

السطحية في المعاني

الفترة التي عاشها البحري كانت تمتاز

بالاضطهاد الفكري والسياسي، فالجو الذي احده

المتوكل من اضطهاد الشيعة وملاحقة ذراري اهل

البيت عليه السلام وقتل الامام الهادي عليه السلام وما شاع بين

مواليهم من الخوف والرعب ثم اضطهاد المعتزلة

ترى الشاعر استفاد من الجناس ليُعبّر عن حدة

ذكاء الممدوح، وقوة رأيه، وصلابة قلبه، غير ان هذا

الجناس لم يرفع ممدوحه الى مصاف العظماء

وجهاً بذه المفاكرين.

وهذا اللون من البديع يحتم علينا أن نقول انه

اقتفى بديعيات استاذة ابي تمام، فقد اتصل به في

حمص واخذ عنه طريقته في البديع والزخرفة، وكان

لحات نقدية في اسلوب وشعر البحري

والدعوة الى ترك الحوار وعدم البحث والجدل في الامور العقلية والمفاهيم العقائدية كل ذلك كان له الاثر الواضح في ابتعاد البحري عن مسلك العلماء واهل المناظرة، أظنه انتفع من علوم عصره كالفقه والمنطق والكلام والحديث والتفسير، بل لم يخالط أهل العلم ولم يختلف إلى حلقات درسهم، إذن فلا ولم أر كالدنيا حليلة وامق تراها عياناً وهي صنعة واحد

لقد أثار خصوم الشاعر - من خلال هذا الشعر وامثاله - فكرة الثوية ونسبوا البحري إليها.

قال احمد بن محمد بن زياد سألت ابا الغوث عن السبب في خروج ابيه عن بغداد، فقال لي: كان ابي قد قال في قصيدته التي رثى فيها ابا عيسى بن صاعد ابياتاً وجد بها اعداءه عليه مقالاً فشنع عليه أنه ثوي، ودرات في الناس وكانت العامة حينئذٍ غالبية ببغداد. (٧٥)

ومن الملاحظات النقدية؛ السرقات:

يطالعا في العصر العباسي لفيف من النقاد تناولوا شعر ابي تمام والبحري ومسلم بن الوليد وابن الرومي وغيرهم فهذا أحمد بن ابي طاهر يسجل سرقات ابي تمام، واحمد بن عمار القطريلي (المعروف بالعزيز) هو الآخر يذكر سرقات ابي تمام. كما الف ابو ضياء بشر بن يحيى الكاتب كتاباً سماه (سرقات البحري)، وجمع الصولي آراء من سبقه في كتابه (اخبار أبي تمام).

نقول: فهل وضع أولئك النقاد مقياساً للسرقة؟ ينقل الامدي مقدمة كتاب أبي الضياء والتي يوضح المؤلف فيها منهجه وهو التريث في شأن

عجب اذا جاءت بعض اشعاره تحمل السذاجة في فكره والسطحية في اكثر معانيه. وربما كان بعض شعره سبباً في الهجوم عليه عندما ظن البعض انه يعتقد لهذا الوجود خالقين.. قال:

حب متى تحسن بعينه تطلق
فتحسبها صنعي حكيم واخرق (٧٤)

السرقه، فيقول (لمن نظر في هذا الباب أن لا يعجل بأن يقول هذا مأخوذ فيما خفي وانما المسروق في الشعر ما نقل معناه دون لفظه...) (٧٦).

إذا تصدق السرقة فيما لو نقل الشاعر معنى شعرياً من شاعر آخر. وعلى هذا اسس الامدي كتابه الموازنة، وهو يقول في ذلك: (إذ كان من اقبح المساوي ان يتعمد الشاعر ديوان رجل واحد من الشعراء فيأخذ من معانيه ما اخذه البحري من معاني ابي تمام ولو كان عشرة ابيات، فكيف والذي اخذه منها يزيد على مائة بيت؟) (٧٧).

ثم ذكر الامدي في الموازنة في باب واحد (٧٨) اربعاً وستين شاهداً على سرقات البحري وهي جلّها من معاني ابي تمام وبعضها من معاني بشار وبعضها من محمد بن وهيب، وربما اخذ من عبد الصمد بن المعذل و....

وهذا يعني أن المقياس إن كان في اخذ المعنى دون اللفظ فإن كثيراً من شعراء العصر العباسي كانوا يسطون على معاني من سبقهم من الشعراء.

اما المرزباني فقد ذكر رقماً كبيراً من سرقات البحري فقال: وسرقات البحري من ابي تمام نحو

لمحات نقدية في أسلوب وشعر البحري

خمسائة بيت وانما ذكرنا منها في هذا الموضوع ما قصر فيه البحري عن مدى ابي تمام او شاركه في عيبه (٧٩).

الخاتمة

في بحثنا المتقدم دلالات عديدة تكشف عن ثقافة البحري واسلوبه المضطرب وبالخصوص عندما ينجح الى الهجاء، اذ نجده يعتمد الى الفاظ السخرية والتهمك، والتعريض بالمهجو بكلمات تحمل في طياتها اخس معاني السباب، فهو لا يتورع حتى لو كان المهجو على رأس السلطة كخلفاء بني العباس ووزرائهم، وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على جرأة الشاعر تجاه رجال السلطة من العباسيين، وهكذا جرأته لما هجا اصحاب النفوذ من الاتراك، اذ كان لهم دور كبير في مجريات الاحداث السياسية ومقتل المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان وتسلطهم على الرقاب، وعزل الولاة والقضاة.

اما ملاحظتنا النقدية لبقية اغراضه الشعرية فقد أعطينا لها صورة واضحة، فما يخص المديح فقد عرفناه متكسباً فيه الى حد الابتدال، واما غزله فلم يكن صاحب معاناة غرامية، ولو فحصت عن مراثياته فهي عبارة عن صورة تقليدية لم شعر فيها حرارة اللوعة وألم الفراق.

اضف الى هذه اللمحات النقدية فهناك تنوع في الجودة والرداءة، فقد ترى متانة العبارة في قصائد المديح كما ترى الضعف وركاكة الكلام والعامية والفاظ مبتذلة في الاغراض الاخرى، على ان البحري لم يسلم من نظرات معاصريه اذ تناولوا شعره وسيرته بالنقد والتحليل...

ونحن بدورنا نسجل عليه تقدماً موضوعياً لَمَّا تجاهل عن ذكر اهل البيت (عليه السلام) واغمض طرفه عنهم، وكاد يتناسى انه واحد من شعراء الشيعة.

هوامش البحث

١. هو ابو صالح؛ عبد الله بن محمد بن يزداد، وزير المستعين وكان ابوه وزيراً للمأمون . وزير ابن يزداد للمستعين نحواً من شهر واحد، ووزير ايضاً للمهتدي، وقدم دمشق في صحبة المتوكل، وامتدحه البحري. ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٣٢، ص ٣٧٦.
٢. ذي أشتر: أي أطراف اسنانه محددة. وأراد بالفاتر النظر: الساكن، الذابل، وطرف فاتر: ليس بجاد النظر.
٣. ينظر: هامش ديوان البحري ١١٤/١، تحقيق: كرم البستاني؛ وينظر: القاموس المحيط، باب الرءاء، فصل الفءاء، مادة فتر.
٤. ديوان البحري، ١١٤/١.
٥. غریت: اولعت. أفد: قرب.
٦. تلدا: قدم.
٧. الكتب والصدد: القرب.
٨. ديوان البحري ٥٧/١ ، دار بيروت للطباعة ١٩٨٧م.
٩. الاغاني ١٠٢/٩.
١٠. من حديث الشعر والنثر، طه حسين ص ١١٥ ط دار المعارف القاهرة ١٩٧٥م.
١١. الاصبهاني، ابو الفرج، الاغاني، ٣٨/٢١.
١٢. الموشح للمرزباني ص ٥١٤ - ٥١٥.
١٣. الشنف: ما علق فوق الأذن (القرط الاعلى). ينظر: القاموس المحيط، باب الفاء، فصل الشين، ص ٧٧٥.
١٤. مقدمة الدكتور عمر الطباع، ينظر الديوان ٣١/١.
١٥. قال فيه:

لحات نقدية في اسلوب وشعر البحري

١٥. ينظر: الديوان ١٨٣/٢.
١٦. تمنى هنا ليس فعلاً ماضياً بل هو مضارع محذوف أحد التائين واصلة ما تتمنى. واما الكلمة التي لم نذكرها فقد حذفناها لقبها.
١٧. ديوان البحري ٩٩/٢، منشورات دار القاموس الحديث، بيروت.
١٨. جاء المصراع الاول فيه كالآتي:
لأية حالة تهجو علياً
١٩. ينظر كتابنا: امير المؤمنين في شعر السيد الحميري، ص١٤١-١٤٣، وكتاب عقائد الامامية للشيخ محمد رضا المظفر، الموسوعة الكبرى للمذاهب والفرق والاديان، للشيخ محمد علي الحاج ٢٩/٣ و١٤٣، ط١، مركز الشرق الاوسط الثقافي، بيروت؛ الملل والنحل للشهرستاني ١٤٩/١، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٠. ينظر: الطبري، تاريخ الملوك والامم، احداث سنة ٢٤٨هـ و٢٤٩هـ، ج٧، ص٣٩٣، مؤسسة الاعلمي، بيروت.
٢١. شجاع بن القاسم كاتب أوتامش القائد التركي.
٢٢. ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٤٦/١٢، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت؛ الزركلي، الاعلام، ٢٠٤/١، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠.
٢٣. ينظر: ديوان البحري ١٣٢/٢.
٢٤. ينظر: ديوان البحري ٩٦/٢ و١١٢.
٢٥. الاصبهاني، ابو الفرج، الاغاني، ٣٨/٢١.
٢٦. ابن خلكان: وفيات الاعيان ٧٤/٥.
٢٧. هي ابنة زُرَيْقة من بطياس قرب حلب. وتغزل بأمرأة اخرى اسمها هند.
٢٨. ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢٢/٦، دار الثقافة، بيروت.
- وعقلك المستهتر الذاهب
بضاعة من شعرك الخائب
٢٩. ينظر: ديوان البحري ٣٤٥/١.
٣٠. ينظر: ديوان البحري ١٦٢/١.
٣١. انظر: القصيدة السينية من الديوان ١٠٨/١.
٣٢. مغانيها: منازلها. وربما كان حول البركة بيوت لاغتسال الجواري.
٣٣. الكالئ: الحارس. واراد به المتوكل العباسي.
٣٤. الحبك: تكسر الماء. الجواشن، الواحد جوشن: الدرع.
٣٥. شبه اجنحة السمك النابتة في اوساطها بخوافي الطير وهي الريش الصغار في اجنحتها حين تنقض كاسرة اجنحتها
٣٦. للانحدار.
٣٧. الصحن: الساحة. البهو: البيت الواسع.
٣٨. الجدا: العطاء. الجبس: اللثيم الجبان.
٣٩. نكسي: اذلالي.
٤٠. طففتها: أنقصتها. البخس: الظلم وهضم الحقوق.
٤١. وارد رفه: أي يرد الماء كل يوم متى شاء.
٤٢. وارد خمس: أي يشرب في اليوم الرابع بعد ظمياً ثلاثة ايام.
٤٣. محمولاً هواه: أي يميل إلى الأخساء.
٤٤. الجوب: الترس. أرعن: أحمق. جلس: غليظ، أحمق. وأراد بالارعن إما البناء العظيم أو جبلاً غليظاً، في جنبه الإيوان كأنه ترس في استدارته.
٤٥. يتظنى: أي يعمل الظن فيه.
٤٦. الكلكل: الصدر. المرسى: الثابت.
٤٧. مشمخر: طويل، عال. شرفات: مثلثات تبنى متقاربة في أعلى القصر، الواحدة: شرفة. رضوى: جبل بالمدينة.
٤٨. الفلائل: الواحدة فليلة: الشعر المجتمع. البرس: القطن وشبهه.

لحات نقدية في اسلوب وشعر البحري

٤٩. الغوير والسواجير: موضعان.
٥٠. الضيغم الورد: الاسد المحمر اللون.
٥١. ديوان البحري ١٩٥/١ ط بيروت ١٩٨٧م.
٥٢. فرغانة: مدينة قرب تركستان. السوس، وتلفظ (الشوش) ايضاً: بلدة بمحافظة الاهواز من خوزستان.
٥٣. أطا: بلدة. سند: بلد باطراف هرات، وفيه نهر السند.
٥٤. طنجة: بلدة عند ملتقى البحر المتوسط والمحيط الاطلسي، فهي من بلاد المغرب.
٥٥. السد: كناية عن حصن اليمن.
٥٦. الاغاني ٣٩/٢١.
٥٧. الاغاني ٣٩/٢١.
٥٨. ١. الاغاني ٤٠/٢١.
٥٩. المصدر السابق ٤٠/٢١.
٦٠. ينظر: الامين، محسن، اعيان الشيعة ٢٧٥/١٠ و٢٧٦، دار التعارف، بيروت، ١٩٨٣.
٦١. شذرات الذهب، عبد الحي بن العماد ت ١٠٨٩هـ ٢، ١٨٦، طبعة دار احياء التراث العربي - بيروت.
٦٢. المصدر نفسه، ١٨٦/٢.
٦٣. العمدة ١٣٠/١.
٦٤. وفيات الاعيان ٢٦/٦.
٦٥. ابو الحسن: كنية البحري.
٦٦. الاغاني ٤٠/٢١.
٦٧. معجم الادباء ٢٤٨/١٩.
٦٨. القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ص ١٠٠، دار الجليل، بيروت.
٦٩. ديوان البحري ٣١٨/١، تحقيق: الدكتور الطباع.
٧٠. نفس المصدر ١٥٩/١.
٧١. ديوان البحري، ٤٧٩/١، تحقيق: الدكتور الطباع.
٧٢. ديوان البحري ٤٧٩/١، تحقيق: الدكتور الطباع.
٧٣. المصدر نفسه ٢٠٠/١.
٧٤. المصدر نفسه ٣٩٣/١.
٧٥. ديوان البحري ٢٧٢/٢، تحقيق: الدكتور الطباع.
٧٦. ديوان البحري ٥٢٣/١، تحقيق: الدكتور الطباع.
٧٧. المرزباني، الموشح ص ٥١٤.
٧٨. الفاخوري، حنا، الجامع في تاريخ الادب العربي، الادب القديم، ص ٧٤٢، ط ٣، منشورات ذوي القربى، ١٤٢٧هـ؛ الحموي، ياقوت، معجم الادباء ٢٤٩/١٩، دار المستشرق، بيروت.
٧٩. ديوان البحري ١٥٧/٢، تحقيق: الدكتور الطباع.
٨٠. المرزباني، الموشح، ص ٤٢٦.
٨١. الامدي، الموازنة ٣٢٥/١، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٩٤٤.
٨٢. المصدر السابق ٣١٢/١.
٨٣. الامدي، الموازنة ٣٤٠/١.
٨٤. المرزباني، محمد بن عمران، ص ٤٢٦.

قائمة المصادر والمراجع

- ١- ابن خلكان، وفيات الاعيان، دار الثقافة، بيروت.
٢- ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٥٦م.
٣- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤م.
٤- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.
٥- الاصبهاني، ابو الفرج علي بن الحسين ت (٣٥٦هـ) الاغاني، طبعة دار احياء التراث العربيين بيروت.

لحات نقدية في اسلوب وشعر البحري

- ٦- الامدي، الحسن بن بشر، ابو القاسم ت(٣٧٠هـ)، الموازنة بين شعر ابي تمام والبحري، ط٢، دار المعارف، مصر.
- ٧- الامدي، الحسن بن بشر، المؤتلف والمختلف، تحقيق: عبد الستار، خارج، دار احياء التراث العربي، القاهرة، ١٩٦١م.
- ٨- امين، احمد النقد الادبي، ط٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٧م.
- ٩- البحري، ابو عبادة، الوليد بن عبيد، نشر امين الحداد، ودار بيروت للطباعة، ١٩٨٧م.
- ١٠- البحري، ابو عبادة، الوليد بن عبيد، نشر دار الارقم بن ابي الارقم، بيروت.
- ١١- البحري، ابو عبادة، الوليد بن عبيد، نشر دار القاموس الحديث، بيروت.
- ١٢- بروكلمان، كارل، تاريخ الادب العربي، ترجمة: د. عبد الحليم النجار، ط٢، دار الكتاب الاسلامي وطبعة اخرى.
- ١٣- تغري بردي، يوسف ت(٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة، طبعة مصر.
- ١٤- الحاج، محمد علي، الموسوعة الكبرى للمذاهب والفرق والاديان، مركز الشرق الاوسط الثقافي، بيروت.
- ١٥- الحموي، ياقوت، معجم الادباء، دار المستشرق، بيروت، بدون.
- ١٦- داغر، يوسف اسعد، مصادر الدراسة الادبية، ط٢، المطبعة المخلصية، صيدا، ١٩٦١.
- ١٧- الدجيلي، حميد، البحري حياته - الدوافع التي دفعته لقول الشعر، مجلة العرفان، العدد ٢٥/٤٧٠.
- ١٨- الذهبي، سير اعلام النبلاء، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ١٩- الزركلي، الاعلام، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠.
- ٢٠- زيدان، جرجي، تاريخ الادب العربي، ١٥٩/٢.
- ٢١- صبري، محمد، ابو عبادة البحري، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٦م.
- ٢٢- الشهرستاني، عبد الكريم، الملل والنحل، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٣- الصولي، ابو بكر، اخبار البحري، المجمع العربي بدمشق، ١٩٥٨م.
- ٢٤- طه حسين، الدكتور، من حديث الشعر والنثر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥م.
- ٢٥- الغفار، الدكتور عبد الرسول، امير المؤمنين في شعر السيد الحميري، دار القارئ، بيروت، ٢٠٠٥م.
- ٢٦- الغفار، الدكتور عبد الرسول، النقد الادبي بين النظرية والتطبيق، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ٢٧- الفاخوري، حنا، الجامع في تاريخ الادب العربي، الادب القديم، ط٣، منشورات ذوي القربى، ١٤٢٧هـ.
- ٢٨- القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، دار الجيل، بيروت.
- ٢٩- كنعان، جرجي، البحري دراسة وتحليل، حماة، ١٩٤٧م.
- ٣٠- المرزباني، معجم الشعراء، طبعة القاهرة.
- ٣١- المقدسي، انيس، امراء الشعر العباسي طبعة بيروت.
- ٣٢- مندور، محمد، النقد المنهجي عند العرب، نهضة مصر للطبع والنشر، بدون.
- ٣٣- هدارة، محمد مصطفى، مشكلة السرقات في النقد الادبي، مطبعة لجنة البيان العربي، مصر، ١٩٥٨م.

